تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

تعقيب على مقال فى (الثقافة) :

كتب الأستاذ أحمد أمين بك فى العدد (٥٦٠) من « الثقافة » مقالا طريفا تحت عنوان « نظرية طريفة » . وخلاصة المقال ، أو خلاصة النظرية : أن هناك كتاباً للكاتب الصينى « لن يوتانج » يرى فى أحد فصوله : « أن لكل أمة مزاجاً ، وهذا المزاج يتكون من عناصر أربعة : عنصر الواقع ، أو بعبارة أخرى : النظر إلى الوجود كما هو موجود ، وعنصر الحلم أو الخيال أو المثالية ، وعنصر المرح أو روح الفكاهة ، وعنصر الحساسية أو قوة الشعور بالأحداث ... واصطلح الكاتب الصينى على أن يجعل كل عنصر من هذه العناصر الأربعة إذا بلغ درجة (٤) فشاذ ، أعلى مما يلزم ، وإذا بلغ (٣) فمرتفع ، وإذا بلغ (٢) فمعتدل ، وإذا بلغ (١) فمنخفض ... وكل أمة فيها هذه العناصر الأربعة ولكن بأقدار مختلفة ، وهى تسير فى الحياة وتتصرف فى الأحداث وفق امتزاج هذه العناصر ومقاديرها . وعلل بعض مايبدو فى الأمم من مظاهر بهذا المزاج ؛ فالفرنسيون مثلا يميلون إلى النظريات المجردة وسعة الخيال ، كما يتجلى ذلك فى أدبهم وفنهم وكثرة حركاتهم السياسية ، وذلك ناشئ من علو درجتهم فى المثالية ، والصينيون أعرق الناس فى الواقعية ، والألمان أحوج الناس إلى روح الفكاهة ، حتى لقد كتبت أعطيهم صفراً . وهنا ما أتيهم فى السياسة فى الماضى والحاضر ، ولو منحوا قدراً كافياً منها لتغير تاريخهم وتغير وجه الحرب ... ثم ذكر أن المثل الأعلى لأمة أن يكون قوامها : واقعية ٣ مثالية ٢ فكاهة ٣ حساسية ٢ ، وأقرب الأمم إلى هذا المثل الإنجليز » .

هذا هو رأى « لن يوتانج » الذى نقله الأستاذ أحمد أمين بك دون تعقيب أو مناقشة — أما نحن فنقول من تفسير الكاتب الصينى لإخفاق الألمان فى ميدان الحرب والسياسة بأنه من أثر النقص فى عنصر المرح والفكاهة ، نقول عنه إنه تفسير مضطرب يقوم على أسس تفكيرية منحرفة ؛ فلو اهتدى « لن يوتانج » بمنطق الحوادث ومنطق التاريخ لوضع النقص فى عنصر الواقعية مكان النقص فى عنصر الفكاهة — ذلك لأن الألمان قد دأبوا على ألا ينظروا إلى الوجود كما هو موجود ، ولو أنهم كانوا واقعيين لما أثاروا حقد العالم فى ميدان السياسة بتلك النزعة العنصرية التى تنشد التفوق فى مجال الفخر والمباهاة ، ولو أنهم كانوا واقعيين لما تحدوا العالم كله فى ميدان الحرب بتلك النزعة البروسية التى تتمثل أمجاد الماضى البعيد فى مجال التطبيق على الحاضر المشهود ! — ومن العجيب أن « لن يوتانج » قد منح الألمان ثلاث درجات لأنهم واقعيون ، وهى نفس الدرجات التى وضعها فى مواجهة الواقعية البريطانية !

بعد هذا ينتقل الأستاذ أحمد أمين بك إلى تطبيق هذه العناصر على المصريين متبعاً نفس الخطة التى سار عليها « لن يوتانج » فيقول : « فى نظرى أن المصريين يغالون فى الواقعية ويقصرون فى المثالية ، ومن أجل هذا يغلب عليهم احتذاء التقاليد والأوضاع القديمة ، حتى التى كانت فى عهد قدماء المصريين التزاماً للواقع » .

يؤسفنى أن أعقب على هذا الرأى فأقول : إن نظرة الأستاذ الفاضل إلى الواقعية تتنافى مع الأساس الذى تعارف عليه الناس ومع الأساس الذى وضعه « لن يوتانج » حين فسر الواقعية بأنها النظر إلى الوجود كما هو موجود ، وعلى ضوء هذا التفسير المقبول لا يستقيم التطبيق الذى أورده الأستاذ أحمد أمين بك فيما يختص بالمصريين ، فلو مال المصريون إلى الأخذ بأسباب الواقعية لنبذوا تلك النزعة الخيالية التى تدفع بهم إلى التمسح بأنقاض ماض يفصل بينهم وبينه آلاف السنين ! ترى هل يمكننا أن نفسر احتذاء المصريين للتقاليد والأوضاع القديمة بأنه التزام للواقع كما يقول الأستاذ أحمد أمين بك ؟ أغلب الظن أننا لا نستطيع أن نفسره إلا بأنه التزام للخيال .

ولقد أعجبت بمنطق الأستاذ أحمد أمين بك حين تناول عنصر المثالية فى حياة المصريين بقوله : « .. وحتى الأدب

والفنون عندهم تنقصها الأحلام والخيالات ، ولذلك ضعفت القصة في أدبهم وكثرت الحكم ، لأن الحكم واقعية والقصة خيالية .

والأدب المصري يسير سيراً تقليدياً ، إما تقليداً للأدب العربي القديم أو للغربي الحديث ، وقل فيه الابتكار ، لأن الابتكار خلق والخلق يحتاج إلى تصميم والتصميم يحتاج إلى خيال أو مثالية. ولعل هذا هو شأن الشرق بأجمعه لا المصريين وحدهم ، فإن صح هذا وجب على المصلحين أن يوجهوا إصلاحهم وبرامجهم على الإقلال مما يسبب الواقعية والإكثار مما ينمي المثالية » . ويلاحظ هنا أن الأستاذ أحمد أمين بك يدعو إلى الإقلال من الواقعية لأنه كما قلنا ينظر إليها نظرة خاصة تجعل منها أداة تأخر ورجعية ، ولو استخدم الأستاذ منطق « لن بوتاج » لأدرك أن الواقعية هي سر هذا التوفيق الذي لازم الأمة البريطانية في تاريخها الطويل ، ومن هنا استقام منطق الكاتب الصيني حين منح الإنجليز ثلاث درجات في هذا المجال

أما في مجال الفكاهة والحساسية ، فقد بلغ الأستاذ أحمد أمين فيه التوفيق ، وقد وقع في شيء من التناقض حين قال : « أما روح الفكاهة فهي نامية عند المصريين ، وقد خفت عنهم كثيراً من متاعبهم ، بل وقد تكون حفظت عليهم وجودهم ، فما تحملوه من ضغط آلاف السنين كان يكفي للقضاء عليهم لولا روح الفكاهة ، فأنا أقدر روحهم الفكاهية بثلاث درجات على الأقل ... ثم إن المصريين كالفرنسيين ينالون ثلاث درجات في الحساسية ، فهم سريعو الغضب سريعو الانفعال في شدة ، وقد يلاحظ عليهم أنهم ينفعلون لدواعي الحزن أكثر مما ينفعلون لدواعي السرور » ! ... إن التوفيق هنا مرجعه إلى تقرير الواقع في كثير من الدقة بالنسبة إلى أثر الفكاهة في حياة المصريين ، ولكن التناقض يظهر عندما يقال إن المصريين ينفعلون لدواعي الحزن أكثر مما ينفعلون لدواعي السرور . كيف نوفق بين قول يسجل الغلبة لعنصر الفكاهة والمرح وقول يسجل هذه الغلبة نفسها لروح الحزن والاكتئاب ؟

وعمى « لن بوتاج » في تطبيق نظريته على الكتاب والشعراء ، ثم ينتهي آخر الأمر إلى تقدير بعض الشعراء بهذه المقاييس :

شكسبير : واقعية ٤ مثالية ٤ فكاهة ٣ حساسية ٤

هايني : واقعية ٣ مثالية ٣ فكاهة ٤ حساسية ٣

شلي : واقعية ١ مثالية ٤ فكاهة ١ حساسية ٤

ويسلك الأستاذ أحمد أمين بك طريق الكاتب الصيني ليصل إلى حقيقة تلك العناصر عند المتنبي وابن الرومي فيمنحهما هذه الدرجات :

المتنبي : واقعية ٣ مثالية ٣ فكاهة ٢ حساسية ٣

ابن الرومي : واقعية ٢ مثالية ٣ فكاهة ٣ حساسية ٤

ونقف قليلا لنعترض على تقدير « لن بوتاج » لعنصر الحساسية عند شلي وهايني وشكسبير ... إن الميزان قد اهتز في يد الكاتب الصيني اهتزازاً شوه معالم الذوق الأدبي السليم وجنى على حقيقة القيم الفنية عند الشعراء الثلاثة ؛ ذلك لأن رهافة الحس أو قوة الشعور عند الشاعرين الإنجليزيين لا يمكن أن ترقى إلى مثيلتها عند الشاعر الألماني ... إن استكناه دخائل النفس واستشفاف حقائق الحياة شيء وتلقي الموجات الشعورية من أعماق هذه وتلك وصبها في انعكاسات تعبيرية شيء آخر ، وهذا هو الخلط الذي يبدو لي أن الكاتب الصيني قد وقع فيه حين نظر إلى عنصر الحساسية عند الشعراء الثلاثة ، وهو نفس الشيء الذي وقع فيه الأستاذ أحمد أمين بك حين نظر إلى ملكة السخرية في شعر ابن الرومي على أنها عنصر الفكاهة الذي يقصد إليه « لن بوتاج » إن هناك فارقاً كبيراً بين الفكاهة والسخرية من ناحية الدلالة اللفظية ، فقد يكون الكاتب أو الشاعر على نصيب وافر من روح المرح في إنتاجه الأدبي ثم لا يستطيع أن يبلغ هذا المدى في مجال السخرية ؛ السخرية التي تهدف أول ما تهدف إلى تناول مظاهر الحياة والأحياء بالهكم اللاذع والتعريض المقذع والتجريح المرير ، ونستطيع أن نلمس هذا الفارق الكبير بين طابع الفكاهة وطابع السخرية في إنتاج كاتبين كبيرين هما مارك توين وبرنارد شو ، فذاك في المجال الأول وهذا في المجال الأخير .

ثم إننا لو منحنا ابن الرومي على عنصر الفكاهة ثلاث درجات لأضفناه إلى قائمة الظرفاء من أمثال أبي دلامة وأبي العيناء ، وهذا هو الأمر الذي لا يستطيع التاريخ الأدبي أن يهضمه حين يضع في بوتقة النقد مصادر الشعراء ... وإذا وافقنا على أنه يستحق

على عنصر الحساسية تلك الدرجات الأربع ، فإننا لا نستطيع أن نوافق على أن المتنبي مثلا يستحق على هذا العنصر تلك الدرجات الثلاث

حرية الرأى العلمي بين طلاب الجامعة :

بالأمس شكا إلى طالب في كلية الآداب ظلماً وقع عليه ، ظلماً يتمثل في مظهر من المظاهر التي لا تتفق وطبيعة التعليم الجامعي كما يفهمه الجامعيون ، لقد فقد هذا الطالب الممتاز درجة امتيازه التي حصل عليها بمجهوده وعلمه لأنه أراد أن يكون جامعياً ، أي أن يكون حر الرأى مستقل النظرة في بحث المسائل العلمية التي تعرض عليه في صفحات كتاب وعلى لسان أستاذ ... وتتلخص قضية الطالب المظلوم في أنه عارض آراء أساتذته في ورقة الامتحان لأنه بثق بعقله إلى الحد الذي يحول بينه وبين الإيمان بكل مايقال ، وذنبه أنه لا يريد أن يكون ذلك « الإنسان الآلي » الذي يردد بعض الحروف والأرقام دون وعي أو إرادة ، ومن هنا ضاق الأساتذة المصححون بتلك العقلية التي تنشد حرية الفكر واستقلال الرأى فحرم صاحبها درجة الامتياز !

هذه هي القضية ، وهي ليست قضية هذا الطالب وحده فيما أظن ولكنها قضية الألوف من طلاب الجامعة ، أولئك الذين يراد لهم أن يخرجوا إلى الحياة مزودين بأسلحة فكرية مقلولة لا تقرها النظم الجامعية في العالم ... إن المفروض في التعليم الجامعي أنه مرحلة ينتقل فيها طالب المدارس الثانوية إلى آفاق علمية جديدة ، جديدة في مناهج البحث وطرائق التفكير وحرية التناول العقلي لشتى المشكلات العلمية والأدبية والفنية . فإذا ألغينا كل هذه القيم ليكون الطلاب أبواقاً للأساتذة فقد قضينا على المثل العليا الفكرية التي ينشدها كل نظام جامعي قويم !

نحن لا ننكر أن بين جدران الجامعة أساتذة ممتازين ، ولا ننكر أيضاً أن بين تلك الجدران أساتذة يعلم الله أين يجب أن يكون مكانهم ... ولقد قلنا من قبل إن العبرة ليست بما يحمل المرء في يده من شهادات ولكن بما يحمل في رأسه من ثقافات ! وإذن فمن الظلم أن يحال بين الطالب المجتهد وبين حرية الرأى العلمي إذا أراد أن يجهر به ، وبخاصة إذا كان يثق بمعلوماته من هذا الفريق الأخير . لقد كنا ننتظر أن يظفر مثل هذا الطالب المجتهد بتقدير أساتذته بدلاً من أن يبوء منهم بمثل هذا الخذلان ، ولكن أساتذته غفر الله لهم قد نظروا إلى طبيعة عقليته الجامعية الأصيلة على أنها ضرب من الخروج على كرامة علمهم الغزير ... وفي سبيل هذه الكرامة المزعومة تلغى الكرامة العقلية في حياة جيل جامعي ومن بعده أجيال .

لتكن الجامعة جامعة وإلا فلتعلن أننا ما زلنا نأخذ بنظام الكتاتيب ... إن وجه الشبه بين طالب الجامعة اليوم وطالب الكتاب بالأمس أن طالب الكتاب كان يثن تحت عصا الأستاذ إذا نسي منطق التردد أو انحرف لسانه عن طريقة البيانوات ، وأن طالب الجامعة يقف اليوم نفس الموقف وإن كان بلوغه مبلغ الرجال قد صرف عنه العصا وأحل محلها قلم الأستاذ في أوراق الامتحان .

بقية الرسائل في عقيبة البريد :

في العدد (٨٤٦) من الرسالة كنت قد أشرت إلى أني سأعرض بالتعقيب لبقية الرسائل التي تلقيتها من القراء في العدد الذي يليه ، ولكن ضيق النطاق في العدد الماضي قد حال بيني وبين هذه الأمنية ، وكذلك في هذا العدد .. فإلى العدد القادم إن شاء الله حيث أعقب أيضاً على بعض الرسائل الجديدة .

أنور المعداوي

إدارة البلديات . مياه

تقبل العطاءات ببلدية طنطا لغاية ظهر ٢٥ أكتوبر سنة ٩٤٩ عن عملية دهان صهريجي المياه وتطلب الشروط من بلدية طنطا نظير مائتي مليم بخلاف أجرة البريد .

٢٩٥٤